الكروس الثاني المرحلة الثانية

المادة: تاريخ الحضارات القديمة

وصف المادة: نتكلم هنا عن عصور ما قبل التاريخ في ايران ومن ثم نعرج على بدايات تاريخ عيلام والماذيين

عنوان المحاضرة

عصور ما قبل التاريخ وتأريخ عيلام والماذيين

Prehistoric times and the history of Elam and the Ma’athin

المحاضرة السادسة

عصور ما قبل التاريخ وتأريخ عيلام والماذيين

مقدمة في جغرافية ايران وعصور ما قبل التاريخ فيها :-

تبدو هضبة ايران وهي شبيهة بالمثلث ، محصورة ما بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين في الشمال ، وهي توصل بين اسية الوسطى واسية الغربية ، كما انها بمثابة جسر الى اسية الصغرى والى قارة اوربة فيما ورائها . وتحيط بتلك الهضبة المثلثة سلاسل من الجبال ترتفع محيطة بصحراء منخفضة هي قاع بحر يابس (دشتي لوط) . وتدعى السلسلة الغربية بجبال زجروس

الممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها نحو (٦٢٠) ميلا وعرضها نحو ١٢٠ ميلا ، وتتراوح ارتفاعاتها بين ٣٢٨٠ و ٥٥٧٠ قدما ، وهي تتألف من جملة سلاسل متوازية تخترقها اودية تتراوح في اطوالها من ٦٠ – ٣٠ ميلا طولا ومن ١٢ – ٦ اميال عرضا ، ويمتد من السلسلة الوسطى من جبال زجروس ذراع يتجه غربا الى سهل ما بين النهرين (جبال حمرين).

وكان سهل وادي الرافدين مهددا بالغزو من هذا الامتداد المطل عليه (وفي الاقليم المسمى لورستان) ، وكان الغزو متبادلا على ما سيتضح ذلك فيما بعد . ويحد الناحية الشمالية في ايران سلسلة جبال (البرز) التي يرتفع اعلى جبل فيها (وهو " دماوند " ، شمال طهران وهو المسمى في المصادر المسمارية بجبل بكنى اي جبل اللازورد) زهاء ١٩٠٠٠ قدما وتحاذي جبال (البرز) الساحل الجنوبي من بحر قزوين ، وتصل في نهايتها الغربية الى اذربيجان الايرانية التي تتوسطها بحيرة (اورمية) الملحة . ويمتاز اقليم اذربيجان بكثرة سكانه وتنمو في وديانه الخصبة الغلات المهمة كالخطة والدخن والقطن والرز والتبغ كما انه ذو شهرة تاريخية خاصة ، اذ ظهرت منه سلالات الماذيين والفرس التي حكمت ايران ، واستوطنته الاقوام الاخرى كالكرد والمغول والترك (التتر) ، وهو الى ذلك يعد الباب المؤدي الى ايران مما دعى الدول الفارسية الى ان تهتم في المحافظة عليه ازاء الفاتحين الاتين عبر القوقاز من السهوب الكائنة جنوب روسية ، فقد اقيمت الحصون المنيعة التي لا تزال بعض اثارها مائلة الان .

وتتفرع من جبال البرز الى الشرق جبال خراسان التي لا ترتفع كثيرا ، كما انه يسهل العبور منها ، وهي ذات وديان وسهول خصبة تنمو فيها غلات الحبوب والرز والقطن والكروم والخشخاش ، وتعد خراسان مخزنا للغلات بالنسبة الى ايران ، وتؤلف خرسان المدخل الثاني الى بلاد ايران .

فقد عبر منها في خلال العصور غزاة فاتحون مختلفون جاءوا من سهول اسية الوسطى ، فكانت معرضة لغزوات التركمان الى القرن التاسع عشر للميلاد . واقام ملوك السلالة الساسانية في خراسان

حصونا لصد الفاتحين ، واشتهر اقليم خراسان في تاريخ ايران يكونه مهد سلالات حاكمة مشهورة ، كالفرثيين والصفويين والقاجاريين . وتكمل سلاسل جبال محيطة بهضبة ايران سلسلة جبال (مكران) في الجهة الجنوب ، حيث يمر من هذه الجبال مجازان احدهما في بندر عباس (الذي كان فيما مضى ميناء مزدهرا في خليج عمان) والممر الاخر يؤدي الى بلوجستان .

ويقع في وسط هضبة ايران منخفض صحراوي شاسع يعد اشد بقاع الدنيا قحولة وجفافا . وهو ينقسم الى صحراوين شاسعتين تسمى احداهما (دشتى كوير) في الشمال والاخرى (دشتى لوط) (دشتى لوط او (دشت لوط) وتسمى صحراء الملح وسماها البلدانيون العرب باسم (المفازة الكبرى) ،في الجنوب، فالأولى عبارة عن ملين وملح لا ينمو او يعيش فيها شيء الا في بعض الواحات القليلة ، اما (دشتى – لوط) فهي صحراء جاف على وجه الاطلاق .

وهكذا فقد انحصرت حياة الانسان واستيطانه في ايران في الهضبة فقط وفي السهول والوديان بين سلاسل الجبال وفي الواحات والسهول الواسع مثل سهل (خوزستان) المشهورة (في الجهة الجنوبية الغربية) وهذا هوة بلاد السوس القديمة (خوزستان) اي بلاد عيلام التي تعد من الناحية الجغرافية امتدادا لسهل ما بين النهرين الاسفل لأنها تتألف من الارض الرسوبية التي كونها نهر كارون وروافده الكثيرة . وكان هذا الاقليم [1] اقدم اجزاء ايران في استيطان الانسان له كما ظهرت فيه اقدم الاطوار الحضارية ، وهو الى ذلك اصلح جزء لان يكون مركزا لإدارة الدولة الايرانية لما اتسعت هذه عبر (زجروس) الى ما بين النهرين والى اسية الصغرى .

---

[1] معنى خوزستان بلاد (الخوز او الهوز) ويجمع على اهواز ، وهو اسم حاضرة هذا الاقليم في العصور الوسطى وسمية عرب ستان ثم اعيد تسميته القديمة (خوزستان) في ايام البهلوي رضى شاه . وسمى البلدانيون العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز ، ولكارون افقد مهم هو نهر (كرخة) الذي يمر قرب السوس (قرب ديزفول) ، (انظر كلامنا على اصل اسم عيلام) .

وهناك سهل اخر في محاذاة الجبال المتاخمة لبحر قزوين ، وهي جبال مهمة من ناحية جذبها للرياح الممطرة الغزيرة في هذا السهل الذي يكتسب خصبا بسبب ذلك ، فكثرت فيه الغابات ، والاحراش ، كما ينمو فيه الرز والقطن والشاي والتبوغ وقصب السكر والبرتقال والليمون ، والتوت ، والتين ، والرمان و وهو يجهز القوت لزهاء $\frac{1}{3}$ السكان . اما السهول الاخرى فهي ليست على هذا الخصب وعديمة المطر تقريباً فلا يمكن زرعها الى بالإرواء الاصطناعي ، الذي استعمل في بلاد ايران منذ عصور ما قبل التاريخ ، واتسع في العهد الاخميني حيث كانت شبكة من القنوات تحت الارض (بالفارسية قناة او غناة او كهريز) وفي الوقت الحاضر (تبزل) المياه في سفوح الجبال وتجمع في حفر عميقة يجري الماء فيها الى الموضع البعيد المراد ارواؤه ،وتظهر مثل هاذه القنوات في كل عام . وهكذا امكن لسفوح جبال زجروس والبرز بفضل ماه امطارها ان تكون صالحة للزراعة وسكنى للبشر ، حيث تكون هذه الجبال مصدراً لينابيع المياه والسيول .

مع ان بلاد ايران على ما راينا ، محاطة بالجبال الى انها مفتوحة من جهاتها الاربعة (بطرق مسالك الجبال) الى سهول ما بين النهرين (وستتطرق الى العلاقات والاتصالات منذ اقدم الازمان) مفتوحة ايضاً الى روسيا والهند والخليج العربي . كما انه يمر منها منذ اقدم الازمان طرق مواصلات عالمية تربط الشرق بالغرب ، فيخترقها طريق تجارة الحرير الشهير الذي كان طرق مفتوح ايضاً، وكانت ايران في الواقع معرضة الى الفتوح والغزوات الخارجية وهجرات الاقوام البربرية . ومن الناحية الحضارية تقع بلاد ايران بين مركزين حضاريين مهمين ، هما بلاد ما بين النهرين ووادي نهر السند .

ومن الامور المهمة التي يجدر ذكرها عن جغرافية ايران مما كان لها اثر في تاريخها وحضارتها ما في هذه البلاد من الموارد الطبيعية ، فهي بالدرجة الاولى زراعية فيها حيوانات صالحة التدجين ، وهي موطن اشجار مثمرة مهمة وحبوب برية مما مكن ظهور انقلاب العصر

الحجري الحديث ومن مواردها الطبيعية المهمة انها غنية بأنواع الحجارة الجيدة كالمرمر والرخام والاخشاب ، وبعض الاحجار الثمينة كحجر اللازورد والفيروز وقد استخرجه هذه الاحجار منذ اقدم العصور ، وكانت مصدراً مهماً للأمراء السومريين الاوائل في العراق مما جعل ايران تصل بمواطن الحضارات القديمة وتتأثر فيها . ويوجد فيها من المعادن النحاس والحديد والقصدير والرصاص مما جذب اليها الفاتحين الطامعين من دول العراق القديم.

وتتكون سفوح زجروس ومنحدراتها من حجارة الكلس وتحتوي على النفط الذي كان معروفاً منذ اقدم الازمان وهناك ميزة جغرافية اخرى حددت من امكانيات ايران في نشوء الحضارة والدول الكبرى في عصور اقدم ، تلك هي احوال الجفاف النسبي ومحدودية الاراضي الزراعية الصالحة للري بالأنهار مما كان يحتم على الفلاحين الهجرات الموسمية من الوديان الى الجبال وبالعكس للمحافظة على الماشية ، ولا يوجد في ايران ، كما في العراق ، مناطق زراعية كبيرة مستمرة تعتمد على الانهار وتسبب قيام الوحدات الاقتصادية والسياسية الكبيرة ، وكانت الوحدات الزراعية في الواحات في العصور القديمة اقرب ما تكون الى الاستقلال الذاتي في اقتصادها ، ولهذه الاسباب تأخر نشوء الحيات الحضارية والحضارة في ايران عن نشوئها في وادي الرافدين ،باستثناء بلاد عيلام بسبب احتكاكها واتصالها بالعراق القديم وقربها منها .